الله أو المال

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: مزمور ٣٣: ٦-٩؛ متى ١٩: ١٦-٢٢؛ ١بطرس ١: ١٨؛ عبرانيين ٢: ١٤، ١٥؛ خروج ٩: ١٤؛ مزمور ٥٠: ١٠.

آية الحفظ: «لذلك رفَّعَهُ الله أيضًا، وأعطاهُ اسمًا فوقَ كلِّ اسم، لكي تَجْثُو باسمِ يسوع كُلُّ رُكبَةٍ مِمَّن في السماءِ، وَمَن على الأرض، وَمَن تحتَ الأرض، ويَعتَرِفَ كُلُّ لِسانٍ أنَّ يسوع المسيح هو رَبٌّ لِمَجْدِ الله الآب» (فيلبي ٢: ٩-١١).

الله يعني ما يقوله في عرض رؤيته في شأن الاستحواذ المُفرط تجاه المال والأشياء المادِّيَّة. إنَّ كلمات المسيح للرجل الغني الجشع، الذي رغم بركات الله له، أخذَ يُكثر في خزائنه أكثر فأكثر، يجب أن تضع خوف الله فينا جميعًا: «يا غبي! هذه الليلة تُطلَبُ نَفْسُكَ مِنك. فهذه التي أعْدَدْتَها لِمَنْ تكون؟ هكذا الذي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وليسَ هُوَ غَنِيًّا لله» (لوقا ١٢: ٢٠، ٢١).

إنَّ عِبادة الله وعِبادة المال يتعارض واحدهما مع الآخر. إما الواحد أو الآخر، الله أو المال. مِن الوهم أن نُفكِّر بأننا نستطيع أن نجمع بين الطرفين، لأن عيش حياة مزدوجة سوف يؤذينا عاجلًا أم آجلًا. قد نخدع الآخرين، وقد نخدع حتى أنفسنا، لكن لا يمكننا أن نخدع الله، الذي سوف نُقدِّم له يومًا ما حسابًا عن أفعالنا.

علينا أن نختار، وكلَّما طال تردُّدنا، وتصنَّعنا الأعذار وماطلنا، كلَّما قَوِيَت قبضة المال ومحبة المال على نفوسِنا. إنَّ الإيمان يتطلَّبُ قرارًا.

الأمر الذي يمكن أن يُهوِّن علينا اتِّخاذ القرار هو التركيز على الله: مَن هُوَ، ماذا فعل من أجلِنا، والدَّيْن الذي علينا له.

* نرجو التَّعمُّق في موضوع هذا الدرس، استعدادًا لِمُناقَشته يوم السبت القادم الموافق ٢٠ كانون الثاني (يناير).

المسيح، الخالِق

اقرأ تكوين ١: ١؛ مزمور ٣٣: ٦-٩؛ إشعياء ٤٥: ١١، ١٢؛ إرميا ٥١: ١٥؛ يوحنا ١: ٣. بماذا تُخبرنا هذه الآيات عن محاسِن العالم المادِّي؟

«إنَّ المسيح هو الذي نَشَر السموات ووضع أساسات الأرض، وإنَّ يده هي التي علَّقت العوالم في الفضاء وأبدعَت زنابِق الحقل، وهو ‹المُثبِّت الجبال بقوَّته› ‹الذي له البحر وهو صنعه› (مزمور ٦٥: ٦؛ ٩٥: ٥). هو الذي ملأ الأرض بكل ألوان الجمال، والهواء بالأغاني والتسابيح. وعلى كل ما في الأرض والهواء والسماء، كَتَبَ محبة الآب» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٨).

الأشياء المادِّيَّة في حدِّ ذاتِها ليست شرًّا. ليس كما تُنادي به بعض الديانات بأنَّ العالم المادِّي والمادَّة ذاتها شيء سيئ أو شرير وأن الأشياء الروحية هي الصالحة. فالكتاب المُقَدَّس يُقيِّم العالم المادِّي.

على أيِّ حال، المسيح نفسه هو الذي خلق العالَم. فإذًا، كيف يُمكن أن يكون العالم شرًّا؟ يُمكِن، مع الأسف، أن يَنحرف نحو الشر ويُستخدَم للشر، كما هو الحال مع جميع عطايا الله. ولكن هذا لا يجعل مِن عطية الله الأصلية شرًّا. يُحذِّر الكتاب المُقَدَّس مِن إساءة استعمال وتشويه الأشياء التي خلقها الله في هذا العالم، وليس ضد تلك الأشياء ذاتها.

وعلى عكس ذلك، فقد خلق الله هذا العالم المادِّي، وأراد أن يستمتع شعبه بثماره وخيراته: «وتفرح بجميع الخير الذي أعطاه الرَّب إلهك لك ولبيتك، أنتَ واللاوي والغريب الذي في وسطك» (تثنية ٢٦: ١١؛ انظر أيضًا تثنية ١٤: ٢٦).

يسوع هو الخالق (يوحنا ١: ١-٣)، والعالم ليس سوى عينة ممّا صنعه. إنَّ قدرته الخلاقة تمنحه منظورًا متميِّزًا للحياة نفسها ولأولئك الذين يعيشون فيها. هو يعلَم قيمة الأشياء المادِّيَّة، ويعلَم أنه منحنا إيَّاها لأجل خيرنا، وأيضًا لأجل سعادتنا ومُتعتنا. هو يعرف أيضًا ما يحدث عندما يُحَرِّف البشر عطايا الله إلى المدى الذي يصنعون فيه مِن هذه العطايا غايةً في حدِّ ذاتها، بينما كان قصد الله أن تكون لتمجيده هو.

انظر حولَك لِتُشاهِد الخيرات الكثيرة في هذا العالم الذي خلقه الله. فحتى بعد ويلات الخطيَّة ما زال باستطاعتنا أن نرى الخير المُتأصِّل في كثير منها. ما الذي تُخبرنا به الخيرات التي نراها في هذا العالم، الذي خلقه الله، عن صلاح خالقه؟

ابن الله / ابن الإنسان

نحن كمسيحيين، نؤمِن أنَّ يسوع كان إلهًا كامِلًا وإنساناً كاملًا. هذه الوحدة بين الإلهي والبشري تجعل نظرته فريدة لما هو ضروري على الأرض وما هو ضروري للحياة الأبدية. إنّ عدم فهمنا كيف كان ممكنًا ليسوع أن يكون له الطبيعة الإلهية/البشرية لا يُبطِل هذا الحق، تمامًا كما أنَّ عدم فهم شخص لعلوم الفضاء لا يمكن أن يمنع طائرة من الطيران.

«هُنا يوجد سِرَّان بسِعر سرٍّ واحد — تعدد الأقانيم ضمن وحدة الله، والوحدة بين الألوهية والبشرية في شخص يسوع... لا يوجد شيء أعظم مِن حقيقة التَّجسُّد» (Knowing God، J. I. Packer، صفحة ٥٣).

أحد أسباب مجيء يسوع إلى هذا العالم هو لأن يُظهِر لنا مدى محبَّة الله وعنايته بكل واحد منا. أبعد ما يكون مِن إله فاتر ومُتباعد كما يعتقد البعض، أظهر يسوع الصفات الحقيقية لأبينا السماوي.

لكنَّ الشيطان حاول أن يفصل الإنسان عن الله. حاوَل أن يُشوِّه صورة الله، واصِفًا إيَّاه بأنه لا يهتم بنا. إنَّ الشيطان يبذل كل ما في وِسعِه وبأيَّة وسيلة ممكنة لِيُبعِدنا عن معرفة واختبار حقيقة نعمة الله وصلاحه. والمحبة الطاغية للأشياء المادِّيَّة هي إحدى خدع الشيطان للوصول إلى هذا الهدف.

اقرأ متى ١٩: ١٦-٢٢. ماذا تقول لنا هذه القصَّة عن الطريقة التي يمكن أن يستخدمها الشيطان ليُبعِدنا عن الله مِن خلال محبتنا للمال؟

لكَ أن تتَخيَّل يسوع نفسه، الله في الجَّسد، يتحدَّث مع هذا الشاب الذي كان مِن الواضح أنه يعلم بأنَّ يسوع كان شخصًا مميزًا. ومع ذلك ماذا حَدَثْ؟ لقد سَمَحَ ذلك الشاب لثرائه العظيم، ومحبَّتِه للأشياء المادِّيَّة، أن تفصله عن شخص الله ذاته. إنَّ محبة العالم والأشياء المادِّيَّة أعْمَتْهُ. ومع كونه شعر بالحزن، إلا أنَّ حُزْنَه لم يكن كافيًا ليجعله يُقْدِم على فِعل ما هُو صواب. لم يكن حزينًا لأنه كان يفقد ثروته (لم يكن كذلك)، لكنه كان حزينًا لأنه كان يَفْقِد نفسه مِن أجل تلك الأشياء.

أغنياء كُنَّا أَم فُقراء، كيف يُمكننا أن نتأكَّد بأننا نحتفظ بعلاقة صحيحة مع مادِّيَّات هذا العالم؟

المسيح، المُخلِّص

الدَّيْنُ ليس مِن مبادئ السَّماء. لكنَّ آدم وحوَّاء أَخْطَأَا، وكَسْرُ القانون يعني الموت. وهكذا، أصبَح الجنس البشري مديونًا للعدالة الإلهية. لقد أفلسنا، وعجِزنا روحيًا عن سِداد دَيْنٍ لا يمكننا الوفاء به.

إنَّ محبة الله لنا وَضَعَت خطة الخلاص. فقد «صار يسوع ضامِنًا لنا» (عبرانيين ٧: ٢٢). إنَّ هوية المسيح بِصِفَتِه المُخلِّص، كَشَفت أهم صفقة أجريَت في التاريخ. إنَّ تضحية المسيح بحياته هي وحدها التي تستطيع أن تَفي الدَّيْن للعدالة الإلهية. دَفَع يسوع دَيْن الخطية الواقع علينا حينما تعانق العدل والرَّحمة معًا عند الصليب. لم يَرَ الكون قط ولم يشهد عرضًا بهذه العظمة والغِنى كالذي ظهر في إيفاء الدَّيْن لخلاص الجنس البشري (أفسس ٥: ٢).

«إذ سَكَب الله كل ما في خزانة السَّماء إلى هذا العالم، وإذ منحنا كل السَّماء في المسيح، فإنه قد اشترى إرادة كل إنسان وعواطفه وعقله ونفسه» (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٣٢٠).

اقرأ كل آية من الآيات أدناه، وضع قائمة بالأشياء التي خلَّصنا المسيح منها. كولوسي ١: ١٣؛ ١تسالونيكي ١: ١٠؛ ١بطرس ١: ١٨؛ عبرانيين ٢: ١٤، ١٥؛ غلاطية ٣: ١٣؛ رؤيا يوحنا ١: ٥.

الكلمة اليونانية «تيتليستاي» التي تعني «قد أُكْمِل» في يوحنا ١٩: ٣٠، أُطلِق عليها أنها أهم كلمة نُطِق بها على الإطلاق. وهي آخر الألفاظ التي نَطَقَ بها يسوع على الصليب. إنَّها إعلانه الأخير، وتعني أنَّ مرسليته قد أُنجِزت، وأنَّ دَيننا «قد تمَّ الوفاء به بالكامل». لم يتفوَّه بها كَمَن لا رجاء له، ولكن كَمَن نَجَحَ في فِداء عالَمٍ هالِك. إنَّ النَّظر إلى صليب الخلاص يكشف حدثًا وَقَع في الماضي له تأثير في الحاضر ورجاء للمستقبل. قدَّم يسوع حياته ليُبيد الخطية والموت وأعمال الشيطان إلى الأبد. ذلك يعني أننا نلنا الخلاص رغم أننا لا نستحقّه (أفسس ١: ٧). إن إلقاء نظرة على عجائب الخلاص يعني إننا نخطو على أرض مقدَّسة.

إنَّ المسيح بصفته المُخلِّص هو أسمى صورة لله. إنَّ جلَّ ما يريده هو خلاصنا. هذا يُظهِر تقديره للجنس البشري، خاصة فيما يتعلَّق بعلاقتنا به. ومع وفاء الدَّيْن، يُحوِّل المسيح انتباهه إلى استجابتنا لتضحيته.

فكِّر فيها: قام المسيح بإيفاء الدَّيْن، إيفاءً كامِلًا وشامِلًا، لكل الشرور التي فَعَلْتَها. كيف يجب أن تكون استجابتك؟ (انظر أيوب ٤٢: ٥، ٦).

الأربعاء

١٧ كانون الثاني (يناير)

إلهٌ غَيور

أعْلَنَ الله في مُجابَهته لفرعون، «لأنِّي هذه المرَّة أُرسِل جميع ضرباتي إلى قلبِكَ وعلى عَبيدِكَ وشَعبِكَ، لكي تعرف أنْ ليسَ مِثلي في كل الأرض» (خروج ٩: ١٤).

ماذا كان قصد الله بقوله «ليسَ مثلي في كل الأرض»؟

«مِن المُستحيل على العقل البشري المحدود أن يُدرِك بصورة كاملة صفات وأعمال الله اللامحدود. فسيبقى الله مُتَسَربِلًا بالسِّرّيَّة حتى إلى مَن هُم أشدُّ الناس فِطنة وأكثرهم قُوَّة وعِلمًا» (روح النبوة، إرشادات للكنيسة، المُجلَّد الخامس، صفحة ٦٩٨، ٦٩٩).

الله ليس له مثيل (١ملوك ٨: ٦٠). هو يُفكِّر ويَذكُر ويعمل بطرق لا نَعِيها نحن. ومهما كانت مُحاولاتنا لأن نجعله في صورتنا، فسيبقى الله هو الله. فهو الذي جعل كل ندفة ثلج، وعقل، ووجه، وكل شخصية مُتفرِّدة في نوعِها؛ هُوَ «اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ» (ملوك الأول ٨: ٦٠). على كلٍّ، هو الخالق، وكخالِق هُوَ بالتأكيد مُتميِّز عن خلائقه.

ماذا تقول لنا الآيات التالية عن مدى تميُّز الله عن خليقته؟ ١صموئيل ٢: ٢؛ مزمور ٨٦: ٨؛ إشعياء ٥٥: ٨، ٩؛ إرميا ١٠: ١٠؛ تيطس ١: ٢.

إذ ننظر إلى الله بكل ما هو عليه، كل ما يمتلكه، وإلى كل ما يفعله، يكون مِن العَجَب أن يكون له مُنافسون. ولكن مع ذلك يوجد له مُنافسون، بمعنى أنه يتنافَس لِكَسب محبة الناس وعواطفهم. قد يكون ذلك هو سبب قول الله أنه إله «غيور» (خروج ٣٤: ١٤). لقد خَلَقَ الله البشر ليكونوا أحرارًا، بمعنى أنَّ لنا الاختِيار لأن نعبده أو نعبد أيَّ شيءٍ آخر. لقد كانت هذه، في أحيانٍ كثيرة، هي مُعضِلة البشر الأساسية: اختيار عبادة آلهة أخرى، بِغَضِّ النظر عن هيئة ذلك المعبود، في مُقابل عبادة الإله الواحد الذي وحده يستحق العبادة، الإله الذي خلق ويمتلك كل الكون. لهذا إذًا هو بحق إله غيور.

مَاذا يوجد في حياتك — إذا وُجِدَ أي شيء، يُنافِسُ الله في حُبِّك له؟

الخميس

١٨ كانون الثاني (يناير)

الملكيَّة الحقيقيَّة

نحنُ مُلكٌ لله بالخليقة والفِداء. لسنا وحدنا مُلك لله، بل أنَّ كل مقتنياتنا هي ملك له أيضًا. نحن، بذواتنا، لا نمتلك أيَّ شيء سوى اختياراتنا.

بالمقابل، هناك عقيدة دنيويَّة راسخة بفكرة أننا نملك مُقتنياتنا. لكنَّ هذه خِدْعَة. إذا ظنَّ المسيحيون أنَّهم المالكون النهائيون لمقتنياتهم، فإنَّهم بذلك يظنُّون شيئًا هو بخلاف ما تُعلِّمنا إيَّاه كلمة الله.

الله هو الذي يملك كل شيء وليس نحن (أيوب ٣٨: ٤-١١). نحن مُجرَّد غُرباء ونُزلاء (لاويين ٢٥: ٢٣)، كما كان الإسرائيليون في أرض الموعد. نحن نعتمد على الله حتى في تنفُّسنا (أعمال الرُّسل ١٧: ٢٥). ما نعتقد أننا نملكه، هو مُلك لله. نحنُ لسنا سوى وُكلائه، وعلى ذلك، علينا أن ندير جميع المقتنيات الملموسة (المادِّيَّة) وحتى غير الملموسة لمجد الله.

اكتب قائمة بما يمتلكه الله من ضمن الآيات التالية: تثنية ١٠: ١٤؛ مزمور ٥٠: ١٠؛ مزمور ١٠٤: ١٦؛ حزقيال ١٨: ٤؛ حجي ٢: ٨؛ ١كورنثوس ٦: ١٩، ٢٠. ماذا تُخبرنا كل هذه الآيات حول ما يجب أن تكون عليه نظرتنا للأشياء المادِّيَّة الموجودة في حوزتنا؟

«كل الأشياء هي مُلك لله. قد يتغاضى البشر عمَّا يطالب به الله. وبينما يُسبغ بركاته عليهم بسخاء، قد يستخدمون عطاياه في إشباع مسرَّاتهم الأنانيَّة؛ ولكنهم سوف يُدْعَون لِيُعطوا حِسابًا عن وكالتهم» (روح النبوة، إرشادات للكنيسة، المُجلَّد التاسع، صفحة ٢٤٦).

إنَّ ملكيَّة الله ووكالتنا تفرض علاقة ‹وكالة›، يُمكِن لله مِن خِلالها أن يستخدمنا بطرق تعدَّنا للسماء، وتكون ذات نفعٍ وبركة للآخرين. ولكن الوكلاء غير الأمناء يُمكنهم أن يحدِّوا مِن وصول المالِك لممتلكاته. وكما رأينا في درس الأمس، الله لا يفرض علينا إرادته. هو خَلَقَنا، وأعطانا ممتلكات في هذا العالم لإدارتها له إلى حين عودته. وكيفيَّة تصرُّفنا بها هو أمر يعكس نوع العلاقة التي لنا معه.

فكِّر في معنى أنك في الحقيقة لا تمتلك شيئًا من الممتلكات التي في حوزتك، ولكنها جميعها مُلك لله. ماذا يقول لك ذلك عمَّا يجب أن تكون عليه علاقتك بما لديك من مقتنيات؟

الجمعة

١٩ كانون الثاني (يناير)

لمزيد من الدرس : الوكالة، كما نفهمها، بدأت بوضع الله آدم وحوَّاء في بستان جميل، كان عليهما أن يعملا فيه ويحفظانه (تكوين ٢: ١٥). في تلك البيئة المثالية، كان عليهما أن يعملا لكي يجعلا ذلك البستان مكانًا يُمكن العيش فيه. لم تكن تلك مُهمةً صعبة. عهد الله إليهما بالدور الذي سيقومان به، وأرشدهما إلى كيفية القيام بمسؤوليتهما. إنَّ الاعتناء بجنَّة عدن كان من شأنه أن يعطي معنى ويجلب سعادة للعائلة الجديدة.

إنَّ الفعل العِبري لكلمة ‹السُّلطان› (تكوين ١: ٢٦، ٢٨) يأتي بمعنى ‹يُخْضِع للسيطرة ويَحكُم›. ولم يكن ذلك — حسب سياق الكلام — بقصد القسوة في التَّسلُّط، ولكنه تحكُّم نافع للعناية بخليقة الله. ولم تتوقَّف تلك المسؤولية. لقد كان على آدم وحوَّاء في تلك البيئة أن يتعلَّما أنَّ الله هو المالِك، وأنَّهما كانا الإداريين، أو الوكيلَين. كان قصد الله منذ البداية أن يكون لآدم وحوَّاء وظيفة المسؤولية والثِّقة وليس الملكية. كان عليهما أن يُبَرْهِنا لله على أمانتهما في أداء مهمتهما.

«أعطى الله جنَّة عدن لآدم وحوَّاء ليعتنيا بها. كان عليهما أن ‘يعملاها ويحفظاها’. كانا سَعِيدَين في عملهما. وقد عمل عقلاهما وقلباهما وإرادتاهما بانسجام تام. لم يشعُرا بأيِّ إرهاق ولا تعب في أعمالهما. كانت أوقاتهما مليئة بالأعمال المفيدة والتواصل واحدهما مع الآخر، وكانا مسرورين بوظيفتهما. الله والمسيح كانا يزورانهما ويتحدَّثان معهما. كانت لهما حرِّيَّة كاملة... كان الله هو مالك بيتهما — جنَّة عدن. وكانا يحفظانها تحت رعايته» (روح النبوة، Manuscript Releases، المُجلَّد العاشر، صفحة ٣٢٧).

أسئلة للنقاش

١. ماذا تُعلِّمنا حقيقة أنَّ الله يملك العالم حول مسؤوليتنا الأساسية فيما يختص بالبيئة؟ في حين أنَّه يجب علينا أن نتجنَّب التَّعصُّب السياسي لبعض أنصار البيئة الذين يوشكون على عِبادة الخليقة ذاتها، ماذا يجب أن يكون موقفنا كمسيحيين تجاه الحفاظ على البيئة؟

٢. تأمَّل أكثر في فِكرة أنَّ الله إله «غيور». ليس سهلًا استيعاب هذا المفهوم، خاصة أنَّ نظرتنا إلى الغيرة هي أنها شيء سيِّء يجب تجنُّبه. كيف يمكننا مع ذلك أن نفهم هذه الفِكرة إذ نُطبِّقها على الله بدون تحميلها أيّ من الآثار السلبية التي تحملها هذه الكلمة عادة؟

٣. كيف يمكننا أن نُميِّز بين الاستخدام الصحيح والاستمتاع بالأشياء المادِّيَّة التي خلقها الله وبين سوء استخدام هذه الأشياء؟ ما هي الأهمية القصوى لهذا التمييز؟